

فلسطين من هجمات الأمم القوية كالأشوريين والبابليين . وقد عثر في هيكل الكرنك في أرض الصعيد على جدول مثلك لمدن كنعان يتضمن ذكر ١١١٨ و ١١٩ مدينة يظن أنها المدن التي افتتحها «تحتس الثالث» قبل أيام يسوع أى قبل مجيء الإسرائيليين (١) كان الإسرائيليون على جانب عظيم من البداوة عند دخولهم «أرض كنعان» وكانوا في درجة واطئة من الحضارة والثقافة بالنسبة إلى الكنعانيين ولذلك تأثروا عند مجيئهم إلى هذه الأرض بالثقافة الكنعانية ولاسيما أولئك الذين قيل لهم «الإسرائيليون» وهم الذين سكنوا في الشمال واتصلوا بالفينيقيين وتأثروا بهم وعبدوا الإله «بعل» بدلا من إلههم «يهوه» إله التوحيد . أما أولئك الذى سكنوا المنطقة التى عرفت فيما بعد باسم «مملكة يهوذا» فإنهم ظلوا على فطرتهم الأولى وعلى جانب من البداوة وقد كان هذا الاختلاف الثقافى من عوامل الإنقسام الذى حدث فى أيام الملك «رحبعام» .

قيل لليهود «البرانيون» «hebrew» وفى اللاتينية

(١) قاموس الكتاب المقدس ج ٣ ص ٢٧٠ .

## ٢ - حجة تاريخية

للدكتور جواد على

لم يتمكن الفزاة أو المهاجرون الجدد من احتلال كل فلسطين فظل ساحل «فلسطين» بأيدى الفلطينيين الذين جاءوا إلى هذا المكان من الخارج . ويقال أن أصل هؤلاء من «جزيرة كريت» وقد نزلوا فى أيام الكنعانيين . وظلت أماكن أخرى بأيدى أصحابها القدماء ، وقد كان الكنعانيون على ما جاء فى التوراة منقسمين إلى أحد عشر سبطاً أو أكثر وكانت من أشهرهم «البيوسيون ، والمموريون ، والجرجاشيون والجورون والفرزيون والمرقيون والسينيون والإرواديون والهاديون والمانيون» (١) . وقد اشتركت كل هذه الأسباط فى مقاومة العبرانيين وأحدثت مع الإمارات الأخرى فى طرد العبرانيين وفى الدفاع عن أرض

(١) الاصحاح العاشر آية ١٥ - ١٩

Ency. Bibl, P, 640 ff - müller, asien and Europa, S 206

فضبط للحشمة الجلبابية أن يذهب بها هذا التكشف ، وللحجب أن يهينه هذا التبت ، وقال لها :

— ما هذا ؟

— قالت : وأنت من أذن لك أن تدخل على ؟

— قال : أنا ... من أذن لى ... يا ليلى ؟

— قالت : لا أسمح لك أن تنادىنى باسمى لقد عدوت حدثك .

ودخلت الخادم فقالت لهاى :

— امسك عربة أسعد أفندى .

— فصاح بها : ليمسكها هو .

وخرج منفضياً .

وقال أسعد : أنا لا أفهم ما صبرك على هذا الخادم القذر .

الخادم القذر ؟ لقد كانت هذه الكلمة صرخة عالية أبقت

الحب النائم ، فقالت له :

— أنا لا أسمح لك ، إنه صديقى ، لا أسمح لك ، أخرج من

دارى ، أخرج .

وتركته حيران مشدوهاً ، وانطلقت إلى (سخرة اللبني) .

على الطنطارى

(البعية ق المدد اللادم)

ضيقة مقفلة ، وأحست بأن قلبها قد بقى فى تلك الدار ، فتمسكت بأسمد (ابن فارس أفندى) الشاب المهدب الأنيق الذى رافقها إلى منزلها ، تذكر به الشهر الذى مضى كأنه رؤيا منام .

وإنها لقي هذا السحور ، وإذا بهانى قد وقف أمامها بشبابه

الروسخة ثياب الأصطبل ، فابتعدت عنه ، وضمت إليها ذيل ثوبها

الأبيض ، ولم تكن تعرفه من قبل إلا فى هذه الثياب ، ولكن

الحب كان (صابوناً) يزيل أوضارها ، وطيباً يذهب ريحها ،

وصبغة زاهية تفيض عليها ، فأين الحب الآن ؟ إنه نائم لم يبق بعد

فى قلبها ، لذلك أنكرت هذه الثياب ، وفرت منها ، وأبدت

الترفع والاستعلاء ، ولم تذكر إلا أنها ابنة صاحب القصر ، وأنه

سبى لقيط سانس خيول يقابل أديارها ، ويرفع أقدارها ، وتالت

لسخوله عليها أمام أسعد ، ورات فى ذلك صفاراً لها فى عينه

وخاف أن يظن أنها ليست من طبقة الأكابر المتمدنين ...

غضبت لمديوان هانى على كرامتها ، ونخطبه قدره إلى عمادتها ،

ولم ير هو فيها إلا الحبيبة قد لبست هذه الثياب التى تكشف

بقاتنها التى يبعدها ، وأبدت اهتمامها التى يقدمها ، لثريب منها ،

على كل فقد رأيت أن موطن العبرانيين على ما جاء في التوراة وهو كتاب اليهود المقدس كان خارج فلسطين وأن « إبراهيم » الخليل وهو الجد الأعلى للعبرانيين لم يكن من أهل فلسطين بل كان من العراق على ما جاء في التوراة<sup>(١)</sup> ثم انتقل إلى أرض كنعان فسكن بين الكنعانيين حيث تكونت له ذرية . ثم استرق المصريون الإسرائيليين إلى أن تمكنوا من الخروج من مصر بزعامه « عيسو » حيث أجهوا نحو الشرق إلى أراضي كنعان

وتفند أسفار التوراة دعوى اليهود في أرض كنعان أو « أرض فلسطين » كما دعيت فيما بعد . فسكانها القدماء على ما جاء في التوراة هم الكنعانيون وذلك قبل مجيء العبرانيين بآلاف السنين . واليهود حسب رواية اليهود هم مهاجرون جاءوا إلى أرض فلسطين وعاشوا مدة عيشة « عشائرية » إذ كان يحكم كل عشيرة منهم « قاض » هو شيخ المشيرة وحاكمها ؛ ولذلك عرف الدور الأول من أدوار اليهود في فلسطين باسم « دور القضاة » وأما الذين جاءوا من مصر وهم من نسل « يعقوب » فإنهم كانوا قد استمبدوا في أيام القراعنة بعد أن غادر « يعقوب » أرض فلسطين وزح إلى مصر حيث تكاثرت ذريته هناك وتولوا مراكز سامية ولم يفكروا في العودة إلا بعد أن ساءت حالتهم هناك وبعد أن استرقهم القراعنة ؛ عندئذ فكروا في الهجرة إلى مكان جديد فلم يجدوا محلاً آمناً غير فلسطين<sup>(٢)</sup> وقد جاءوا بعد قليل وعلى دفعات فلم يتمكنوا من الدخول إليها عنوة ولم يتمكنوا من قهر أهل أرض كنعان والتغلب على الكنعانيين ويظهر ذلك بكل وضوح من أقوال التوراة .

ووردت في التوراة بعض الشهادات التي تفند مزاعم الصهيونية تماماً فما ورد فيه أن الشعب الذي يسكن في هذه الأرض كان على جانب عظيم من الحضارة وأن العبرانيين كانوا على العكس على جانب كبير من البداوة . « ومتى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي خلف لأبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب أن

(١) التكوين إصحاح ١١ آية ٢٧ وما بعد ٢٤ Ency Bibl P  
التكوين إصحاح ٢٥ آية ١٨ وما بعد ، التكوين إصحاح الثاني عشر آية أ وما بعد . التكوين الإصحاح السابع عشر آية ٨ وما بعد .

(٢) Nevill Barbour, Nisi Domini P, 14

« hebraeus » وقد أخذت هذه الكلمة من « عبرية » « ebraya » الآرامية . وهذه من « عبري » . « ibri » أو « عبريم » « ibrim. » الواردة في التوراة<sup>(١)</sup> والتي كانت تطلق بصورة عامة على « بني إسرائيل » « B'nê israel » أي « أبناء إسرائيل »<sup>(٢)</sup> .

وقد أطلق الكنعانيون كلمة « العبرانيين » على المهاجرين الذين كانوا يدعون أنهم من صلب « إبراهيم » « إرام » لتكون لهم علامة فارقة وتدل على أنهم من الشعوب القريبة الطارئة على الكنعانيين<sup>(٣)</sup> .

أما النظرية اليهودية فتقول أنهم إنعاسوا « عبرانيين » لعبورهم نهراً أو قطع حد « أي عبورهم من جهة إلى جهة أخرى ... عبرها - ناهار » « eber han - nahar » أي « عبور النهر إلى الجهة الثانية منه » ويظن أن المقصود من « النهر » نهر الفرات الذي عبره عند « حاران » « haran »<sup>(٤)</sup> .

ويقال للأرض التي خرج منها إبراهيم وناحور « nahor » « آرام النهرين » « Aram - Naharain »<sup>(٥)</sup> . ويرى العالم « سايس » « Sayce » أن معنى الكلمة « تجار » لأنهم كانوا يعبرون نهر الفرات لأغراض تجارية<sup>(٦)</sup> .

ويرى بعض العلماء أن كلمة « عبرانيين » من « عابر » « Eber » وهو حفيد « سام بن نوح »<sup>(٧)</sup> . ولما بر على ما جاء في جدول أنساب التوراة أولاد لهؤلاء أولاد أيضاً وقد تكونت من ذريتهم قبائل وعشائر . ويرى بعض علماء التوراة أن هذه الأسماء هي أسماء مواضع جغرافية تقع فيما بين النهرين وأن الموطن الأصلي التي انحدرت منه الشعوب السامية هو منطقة « أرات » « Ararat » انحدرت منه إلى شمال العراق ثم إلى الجنوب فسائر الأسماء<sup>(٨)</sup> .

(١) Ency Bibl P 1984

(٢) المصدر نفسه .

(٣) Ges - Gesch der hebr Sprache und Schrift S' of Kautvgch in Richms HWB.

(٤) التكوين سفر ١١ آية ٣١

(٥) التكوين سفر ٢٤ آية ١٠ ، ٧ ، ٤ ، ١٠ .

(٦) Hastings P 201 Sayce Exp T Xv III 1907 P 233

(٧) Hastings P 201 Ency Bibl P 1984

(٨) ency Bibl P 1984

بجهود شاوؤل وداود وسليمان . فلما مات سليمان وانتقل الملك إلى ابنه « رحبعام » وكان ضعيفاً انقسمت المملكة إلى قسمين مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل (١) .

هذا هو عمر الدولة العبرانية الموحدة التي يتغنى بها الصهيونيون . ومما يستحق الالتفات كذلك أن ملوك هذه الدولة لم يكونوا ليتمكنوا من تكوين دولتهم هذه لولا المساعدات الخارجية التي كانت تصل إليهم من الأمراء الفلسطينيين عن طريق التصرب والصدقة . فهذا « داود » وكان من قواد الملك شاوؤل ينهز الفرصة فيتحالف مع ملوك الفلسطينيين للايقاع بالملك شاوؤل ليتولى بنفسه الحكم ، فلما تولى الحكم لاقى مصاعب كبيرة في سبيل التوفيق بين « إسرائيل » ويهوذا ، لما كان بين الطرفين من تباعد بسبب الاختلاف في درجة الثقافة والحالة الاجتماعية ؛ ولم يتمكن داود من تعمير قصره في القدس إلا بمساعدة الفينيقيين والفلسطينيين بل حتى والعرب الذين كانوا على اتصال باليهود كما يفهم ذلك من التوراة وكذلك في أيام سليمان .

وإذا استعرضنا تاريخ الملكين الصغيرين اللتين تكونتا فيما بعد نجد أن العبرانيين لم تكن لديهم فكرة « حكومية » بل كانت عندهما فكرة « دينية » هي الثالفة على كل شيء وكانت هي من عوامل انقسام العبرانيين كذلك . ولذلك نجد قتلا واغتيالا وثورات على الملوك وطلب نجدات من الأمراء الوطنيين ومن الحكومات التي كانت في العراق أو في سوريا أو في مصر للاستعانة بها على محاربة ملوكهم . وكان رجال الدين في طليعة الثائرين على الحكام عند ظهور أقل شيء منهم يدل على أنهم يريدون الانتفاص من نفوذهم أو ميلا إلى التجدد أو الأخذ بأساليب الثقافة التي كانت عند الكنعانيين أو الفينيقيين ، حتى آل ذلك إلى سقوط مملكة إسرائيل وعاصمتها « السامرة » « Samaria » سنة ٧٢٢ ثم سقوط القدس على أيدي البابليين سنة ٥٨٦ قبل الميلاد .

### مبارك علي

(١) راجع شهادة الدكتور حتى أمام لجنة التحقيق الأمريكية الأنكليزية بتاريخ ١١ كانون الثاني سنة ١٩٤٦ بواشنطن .

يعطيك إلى مدن عظيمة جيدة لم تبناها وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها ، وآبار عمقورة لم تحفرها ، وكروم وزيتون لم تفرسها ؛ وأكلت وشبمت ، فاحترس لئلا تنسى الرب الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية » (١) .

فهذه شهادة عبرانية واردة في أقدس وأقدم كتاب عند العبرانيين وهو الكتاب الذي استشهد به اليهود في إثبات حقهم في فلسطين ؛ هي شهادة تشكلم بكل وضوح عن مداوة العبرانيين وأنحطاطهم بالنسبة إلى « الكنعانيين » سكان فلسطين القدامى .. وهناك شهادة أخرى تلفت الأنظار حقاً وهي تشرح لنا حالة اليهود عند محاولتهم الدخول إلى فلسطين ودرجة انحطاطهم وحالتهم البدائية وقلة عددهم كذلك ومقدار تفوق الشعوب الأصلية على اليهود . فها هو إله إسرائيل يخاطب « موسى » فيقول « ارسل هيبتي أمامك وازعج جميع الشعوب الذين تأتي عليهم وأعطيك جميع أعدائك مدبرين ، وارسل أمامك الزناير فتطرد الحويين والكنعانيين والحثيين من أمامك ، لا أطردهم في سنة واحدة لئلا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البرية ، قليلاً قليلاً أطردهم من أمامك إلى أن تتور وتملك الأرض » (٢) .

فهذه شهادة تشرح حالة اليهود عند مجيئهم إلى فلسطين وقلة عددهم وأنحطاط مستواهم الثقافي والمدني بالنسبة إلى شعوب فلسطين وهي شهادة لا تصلح أن تكون حجة في صالح اليهود . لم يتمكن اليهود من تثبيت أقدامهم في الناطق التي استولوا عليها من فلسطين إلا بعد مدة طويلة ولم يكن ذلك إلا بعد اتخاذ طرق مختلفة منها التزاوج ومنها التبشير بالديانة اليهودية ولم يتمكنوا من تشكيل حكومة بالمعنى الحديث المفهوم من كلمة « دولة » إلا لمدة قصيرة جداً ونحت عوامل ضغط شديدة ؛ ولم تعمر هذه الدولة طويلاً بل عاشت منذ عهد « شاوؤل » في سنة ١٠٢٠ قبل المسيح وهو أول ملك تولى الملك عند العبرانيين وانتهت مع حكم سليمان حوالي سنة ٩٣٠ قبل المسيح أي أنها عاشت فقط

(١) التوراة سفر التثنية لإصحاح ٦ آية ١٠ فابعد

Nisi Dominus p, 12

(٢) للتوراة سفر الخروج لإصحاح ١٣ آية ٢٩ وما بعد .